كتاب الحافظ هي هذا السؤال : لماذا انتصر الشعب الفيتنامي ولماذا انهزم الشعب العربي ، رغم ان التطور الاجتماعي والاقتصادي والتقني للشعب الفيتنامي متخلف كما هي الحالة عند العرب ؟ ٠

هذا السؤال ترد عليه مختلف اجابات الحافظ على امتداد صفحات الكتاب الذي يشمل عدة فصول ، منها دروس التجربة وتطور الحركة القومية الفيتنامية والوعي التاريخي الفيتنامي والوعي التاريخي العربي ٠

التجربة الفيتنامية

يخلص ياسين الحافظ في مقدمة كتابة الى مسالة جريئة ، وهي اعتباره ان « الخطوة الاولى ، او البدوة اللازمة للتقدم نحو تذليل هذه المشكلات وتكنيس هذه البلايا هي عقلنة الانتجلنتسيا الغربية » (ص : ١٥) ٠

هذه الخلاصة تشكل نقطة الارتكاز عند الحافظ لحل المشكلات الكثيرة والمعقدة لان تشديد العقلية العربية يسهل لنا عملية استيعاب التجارب والتقاط الحلقة المركزية في نضالنا القومي الراهن وكل ما عدا ذلك ليس سوى خبط عشواء في النظريات والايديولوجيات ٠

يبدأ الحافظ كتابه في تعريف التجربة التاريخية لشعب من الشعوب بالقول انها « اجماع حركة كل الشعب على كل المستويات والاصعدة » (ص : ٥) ٠ لذلك لم يتوقف بحثه عند النقاط المعروفة بل ذهب في تحليله التاريخي الى ابعد من السطح ٠ فالاحداث السياسية عند الحافظ تشكل سطح الاشياء اما « الجوهري والاساسي فهو الايديولوجي والثقافي ، الذي يفرز السياسي ويحكمه » (ص : ٦) ٠

وهكذا يؤسس الحافظ منذ البدء قاعدة تحليله ونقاشه ، اذ انه ينطلق من مقولة « الاستقلال النسبي » التي تكلم عنها ماركس في علاقة الثقافي والايديولوجي والسياسي بالاقتصادي ٠ ويعقد الكاتب من هنا هذا الاختلاف في التجربتين الفيتنامية والعربية ، فالاقتصاد العربي متخلف والفكر العربي متخلف بينما الاقتصاد الفيتنامي متخلف والفكر الفيتنامي متقدم ٠

هذه المفارقة بين المسالتين ـ التجربتين حكمت مجمل الافرازات والنتائج والانتصارات والهزائم التي حملتها قضايا النضال في الوطن العربي والوطن الفيتنامي ٠

وينطلق الحافظ ايضا من مقولة اخرى وهي « التأثيرات البرانية » على البلدان التابعة للامبريالية التي تصاب اما بانكماش كما العرب والهند او بانفتاح كما الصين وفيتنام ٠ انطلاقا من هذا المفهوم يعقد الكاتب مقارنة اخرى بين التجربة الفيتنامية التي انفتحت على ثقافة الغرب واستفادت منها لمقاتلة الغرب الامبريالي وبين التجربة العربية التي انغلقت على ثقافة الغرب بداعي المحافظة على الاصالة فكانت النتيجة اننا فشلنا في مقاتلة الغرب الامبريالي ٠

ووفق هذا الاطار يعرف ياسين الحافظ كتابه بالقول انه « محاولة لالقاء ضوء على الاسباب والعوامل التي سهلت التطور الايديولوجي الفيتنامي ، كما يحوي تنويهات باسباب وظروف تظاهرات الانضماء الايديولوجي العربي » (ص : ٧) ٠

وهكذا يتحرك الكاتب على امتداد